

لماذا تأخرت في الاستقالة؟

اصيبت شقيقتي بعارض صحي استدعى نقلها الى مستشفى مبارك الكبير في منطقة الجابية، وبعد تأخير ومماطلة وتسويف ومعاونة نقلت الى وحدة العناية المركزة وهي بحالة خطيرة جدا. بانتظار وصول ملفها الصحي من السرداب. قمت بالتجول في ممرات العيادة الخارجية، وعيادة الحوادث. ما تشاهده في الساعات الاخيرة من الليل في ذلك الجزء من المستشفى يشبه منظرًا تكررت مشاهدته في الأفلام المصرية سيئة الاخراج والتي تجري أحداث قصتها او جزء منها في قاعات الحوادث في المستشفيات.

تخبرات المرضى مستلقون على العديد من الاسرّة وغالبيتهم يننون من الألم، وغيرهم على كراسي متحركة وآخرون وقوفًا ينتظرون قيام الطبيب المنهك والمرهق بالكشف عليهم، والكل يتحركون وفي كافة الاتجاهات، وكان كارثة قد اصابت الجميع من شدة الازحام وعلو الاصوات وكثرة التذمر من الوضع. تلاحظ ويوضح مؤلم ان الاطباء المعدودين العاملين في ذلك القسم ليس لديهم الوقت الكافي للاهتمام بطريقة، ولو مقبولة ولا نقول جيدة، بكل مريض، حيث ان غالبية الحالات تحتاج الى اشعة ومعرفة ضغط الدم وأخذ عينات منه، وليس لدى اي من اولئك الاطباء الوقت للقيام بكافة ما تتطلبه مهمة التواجد في قسم الحوادث والعيادة الخارجية في مستشفى كبير، من جهد وقوة اعصاب وقدرة على التحمل ومواجهة عيون ولسان المريض والعشرات من مرافقيه الذين قدموا معه.

تتمشي بين الغرف والحواجر وتشاهد سلال الزبالة وقد امتلأت وليس هناك من يهتم بامر تفرغها، وتشاهد حولها الابر المستعملة واعطية لعب ادوية وشاش واقطان مستعملة مرمية على الارض، تتلفت الى الجهة الاخرى وتشاهد الممرض وهو يعيد استعمال غطاء سرير الفحص، ربما للمرة العاشرة، بالرغم من كل نقط الدم والتلوث التي كانت تغطيه، تلتفت الى الجهة الاخرى وتشاهد مجموعة من المراجعين ونويعهم يفترشون الارض وبعضهم يتلوى من الألم، وكانت في عيادة ميدان حرب، وبين كل ذلك تقف مجموعة من المراهقين الذين قدموا للاطمئنان على صديق لهم اصيب بكسر في رجله، وتشاهدهم يصرون على التدخين بشراهة بين اسرّة المرضى والمراجعين، دون ان يجروا احد على منعهم من ذلك، والخادم السيلاني المسؤول عن النظافة يتنقل بكل نشاط حاملا عيّنات الدم بيديه الملوّنتين الى المختبر ويعود بدواء يسلمه للطبيب. فجأة يتعالى الصياح من كل حذب وصوب ونسمع بواور معركة صابرة من مكتب المشرف الاداري، الذي يصير على الجلوس وراء مكتبه متحصنا فيه من سهام المراجعين وشكاواهم. تقترب اكثر فتعرف ان «الهوشة» تتعلق باحقية الدخول على الطبيب، وكيف ان ذلك المراجع نقد صبره وهو ينتظر دوره الذي ربما سوف لن ياتي بعد ان كثر التجاوز في الدخول على الطبيب المرهق والمهموم.

تذهب لغرفة المسؤول تسال عن السبب في كل تلك الفوضى فتجده يلقي المسؤولية على ضغط المراجعين وكثرة طلباتهم، والزيادة غير المعقولة في عددهم مقابل نقص واضح في عدد وقدرات اطباء الخفارة.

لا اريد ان استطرد في الوصف فالوضع بائس ومثير للتساؤل والحيرة، وخاصة وضع النظافة في حمامات الرجال، ولم اتمكن بالطبع من دخول حمامات النساء، ولكن لا اعتقد انها كانت في وضع احسن من وضع حمامات الرجال. لقد اهملنا التعليم لسنوات طويلة، بعد ان سلمنا اهم مرفق في البلاد الى مجموعة اقل ما يقال فيها انها لم تكن مؤهلة، وحدث ذلك ويحدث كل يوم. واهملنا صحة الانسان وهي اضمن ما يملك، واستمر الهدر والاهمال لعقود

طويلة تمثلت في فضائح هندسية وفنية واخلاقية واحد الالة على هذا الاهمال تلك الهياكل الخرسانية الضخمة التي قمنا ببنائها واسمينها مستشفيات، وقمنا بتسليم مهمة ادارتها لمجموعة من الاطباء، هم ابعد ما يكونون عن علم ادارة المستشفيات، وبعدها نام مسؤولونا قريبي الاعين.

انك لا تلام ايها الاخ المحترم انور النوري، ولو كنت مكانك لما فعلت غير ما قمت بفعله، فمن الظلم ان يصير مجلس الامة على تحميلك اوزار اخطاء جميع من سبقوك، وان تتعرض الى شتى انواع الضغوط والاتهامات على تركة ورتبتها مهترئة و«ملعون اسلافها». ما اثار استغرابي وانا اقف في ذلك البهو المكتظ من المستشفى في تلك الليلة الباردة، هو كيف استطاع وزير الصحة ان يصمد كل ذلك الوقت، وكيف لم يقم بالاستقالة قبل ذلك بكثير؟؟ واذا كان هذا حال احد احسن وارقى المستشفيات لدينا، فما هو ان حال اسوأها؟؟